نُورُ النِّبْراس من حديث سيّد الناس ﷺ: ((خَيْرُ النَاس أَنْفَعُهم لِلنّاس))

2026-06-05

الحمد لله الكريم المنّان، واسع الفضل والإحسان، المتفرّد بالجود والاِمتنان، الذي جعل المعروفَ تجارةً لا تبور، وجعل الإحسانَ نورًا لصاحبه يوم النشور، فسبحانه من إله جعل الإحسان إلى الخلق من أعظم أبواب القربات، ووعد المحسنين أعظم المثوبات، ورفع أهل المعروف في الدنيا والآخرة أعلى الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أَوْصَى عِبَادَهُ بِالسَّعْي إِلَى الخَيْرَاتِ، وَالمُسَارَعَةِ إِلَى المَبَرَّاتِ، فَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ في سورة سورة آل عمران: {سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالَارْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصَفِيُّهُ من خلقه وخَلِيلُهُ، دَلِيلُ النَّاسِ إِلَى الرَّحمْنِ، ومُرْشِدُهُمْ إِلَى أَقْرَبِ طُرُقِ الجِنَانِ،

يا أيّها الناس هذا سيِّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورَغَّبَنَا

ومِنْ مهاوي الرَّدَى والزَّيْغ أنقذَنا * يا مرتَجِين نوالاً من عطيّتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخَبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السُّبّاق، فكانوا ينفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. من هدي النبوّة، ومن نُور الرسالة، الذي يجعل للحياة قِيمةً، وللمسلم قدرًا وهدفًا، ويربط المسلمَ بمجتمعه، ويجعله فاعِلًا بينهم، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه ابن حِبّان، والقضاعي، والطبراني، وصحّحه وحسّنه جمْعٌ من المحدِّثين، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول

الله ﷺ: ((خَيْرُ النَاس أَنْفَعُهم لِلنّاس))، وفي رواية رواها الطبراني في الأوسط والصغير، وأبو الشيخ، وابن عساكر، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((أنّ رجلًا جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ أيُّ الناسِ أحبُّ إلى اللهِ؟ فقال: أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى سرورٌ تدخلُه على مسلمٍ: تكشفُ عنه كُربةٍ، أو تقضي عنه ديْنًا، أو تطردُ عنه جوعًا، ولَأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ، أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ، يعني: مسجدَ المدينةِ، شهرًا، ومن كظَم غَيْظَه ولو شاء أنْ يُمضيَه أمضاه، ملأَ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يقضيَها له، ثبَّتَ اللهُ قدميْه يومَ تزولُ الأقدامُ))، هذا الحديث يُصحِّح نظرَ المسلم للكون والخَلْق والحياة، ويُطوِّر المسارَ، ويُوجِّه البوصلةَ، وهو جديرٌ بأن نتأمَّل حروفه، ونتبيَّن مدلوله، ليتدفّق في عروق الأفراد والمجتمعات طَعْم الإسلام، وحلاوة الدين، خاصَّة حين تغلب روح الأنانية والفرديَّة، ويتضخّم حب الذات، وتجمد العواطف، وتذبل العَلاقات، وينشغل المسلم عن واجبه تجاه أمّته، وعن رسالته في حق وطنه، وعن دَوْره في مجتمعه. إنه مبدأ عظيم، يجعل المسلم مشروع خيرٍ متحرّكاً أينما حَلّ وارتحل. أيّها المسلمون. وإنّ أعظم وِسام يناله المسلم، أن يكون أحبَّ الناس إلى الله، وأعظم تحفيز للمسارعين إلى الله، وطالبي رضاه: زَرْع البسمة على الشفاه، وكشْف الكربة عن المكروبين، وبذْل العوْن للمحتاجين، معنى قوله ﷺ: ((خَيْرُ النَاس))، أيْ أفضلهم عند الله منزلة، وأعظمهم أجراً، وأكثرهم بركة. ومعنى قوله ﷺ: ((أَنْفَعُهم لِلنّاس))، أيْ أكثرهم نفعاً لعباد الله في دينهم أو دنياهم. فكلّما اتّسعت دائرة نفْعك للناس، ارتفعت درجتك عند الله. ولهذا لم يقل النبي ﷺ: "أكثر الناس عبادة"، ولا "أكثر الناس مالاً"، بل قال ﷺ: ((أَنْفَعُهم لِلنّاس))، لأنّ العبادة الحقيقية لا تقتصر على الصلاة والصيام فقط، بل تشمل خدمة عباد الله، والإحسان إليهم. أيّها المسلمون. لقد امتلأ القرآن الكريم بالدعوة إلى نفع الناس والإحسان إليهم. قال تعالى في سورة البقرة: {وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}، وقال سبحانه في سورة آل عمران: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ}، وقال عز وجل في سورة النحل: {إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ}، وقال سبحانه في سورة الحشر: {وَيُوثِرُونَ

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فالإسلام لا يريد مسلماً منعزلاً عن الناس، بل يريد مؤمناً يحمل همَّ مجتمعه وأمّته. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا))، وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهِم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ، إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ، تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى))، أيّها المسلمون. إذا أردنا أن نرى التطبيق العملي لهذا الحديث الشريف، فلننظر إلى حياة رسول الله ﷺ. لقد كان نفْعه للبشرية أعظم نفع عرفه التاريخ. أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. أخرجهم من الظلمات إلى النور. علّم الجاهل. وأرشد الضالّ. وأطعم الجائع. وواسى الحزين. وشفى القلوب قبل الأبدان. ولذلك لمّا رجع صلوات ربي وسلامه عليه من غار حراء خائفاً، وقد عَرَتْهُ الدهشةُ للمَلَك الذي جاءه في الغار، يقول لزوجته السيّدة خديجة رضي الله عنها: ((قد خشِيتُ على نفسي، فقالت له: كَلَّا، أبشِرْ، فواللهِ لا يُخزيكَ اللهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصدُقُ الحَديثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتَقري الضَّيفَ، وتُعينُ على نَوائِبِ الحَقِّ))، اشتملت هذه الأحوال على نفْع متعدٍّ للآخَرين؛ فكانت عاصمة له ﷺ بإذن الله من أن يُصيبه خِزيٌ أو حُزنٌ أو أذًى. وعند الإمام أحمد في كتاب الزهد قال: (كان يقال في الحكمة: إنّ العمل الصالح يَرفع صاحبه، وإذا ما سقَط وجَد متَّكَأً). أيّها المسلمون. إنّ الإسلام جعل خدمة الناس من أعظم العبادات. وقضاء حوائج الناس من أحب الأعمال إلى الله، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه))، وفي صحيح مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ))، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((مَن كانَ في حاجةِ أخيه كانَ اللهُ في حاجَتِه))، تأمّلوا رحمكم الله، هذا الجزاء العظيم: أنت تقضي حاجة أخيك، فيقضي الله حاجتك. وأنت تفرّج كربته، فيفرّج الله كربتك. وأنت تستر عورته، فيسترك الله يوم القيامة. أيّها المسلمون. أبواب النفع كثيرة، فبعض الناس يظن أنّ النفع يكون بالمال فقط.

وهذا خطأ. فقد تنفع الناس بعلمك. وقد تنفعهم بنصيحتك. وقد تنفعهم بكلمة طيّبة. وقد تنفعهم بابتسامة صادقة. وقد تنفعهم بإصلاح بين متخاصمين. وقد تنفعهم بالدعاء بظهر الغيب. وقد تنفعهم بتعليم القرآن. وقد تنفعهم بتربية الأبناء. وقد تنفعهم بإزالة الأذى من الطريق. ولهذا قال ﷺ: ((تبسُّمك في وجه أخيك صدقة))، وقال ﷺ: ((إماطة الأذى عن الطريق صدقة))، بل جعل النبي ﷺ كفّ الأذى عن الناس من أفضل الأعمال. فليس المطلوب أن تكون غنياً، وإنما المطلوب أن تكون نافعاً. أيّها المسلمون. إنّ الأمّة اليوم تحتاج إلى النافعين، أكثر من حاجتها إلى المتفرّجين. تحتاج إلى العلماء الذين ينفعون بعلمهم. وإلى الأغنياء الذين ينفعون بأموالهم. وإلى الشباب الذين ينفعون بقوتهم. وإلى المسؤولين الذين ينفعون بمناصبهم. وإلى الآباء الذين ينفعون أبناءهم بالتربية. وإلى الأئمّة والدعاة الذين ينفعون الناس بالهداية. إنّ مجتمعاً يسعى كل فرد فيه إلى نفْع الآخرين، مجتمعٌ تحلّ فيه البركة، وتكثر فيه الرحمة. أمّا إذا غلبت الأنانية، وحب النفس، ضاعت الأخوّة وتفكّكت الروابط. فاجعل لنفسك أيّها المسلم نصيباً يومياً من خدمة الناس. واسأل نفسك كل مساء: ماذا قدّمتُ اليوم للمسلمين؟ هل أعنتُ محتاجاً؟ هل زرتُ مريضاً؟ هل أصلحتُ بين متخاصميْن؟ هل علّمتُ جاهلاً؟ هل أدخلتُ السرور على قلب مسلم؟ فإنّ أعظم الناس عند الله ليس من عاش لنفسه، بل من عاش لدينه وأمّته. فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ ما تقدّمه للناس اليوم، ستجده عند الله غداً. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقال سبحانه في سورة الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ﴾، فلا تحتقرنّ معروفاً مهما صَغُر، ولا تستصغر عملاً نافعاً مهما قَلّ، فإنّ الله لا يُضيع أجر المحسنين. نسأل الله أن يوفّقنا للقيام بخير الأعمال والقربات، وأن ينفع بنا دائماً، وأن يستعملنا ولا يستبدلنا، إنه على كل شيء قدير. اللهم اجعلنا من عبادك النافعين، ومن أوليائك الصالحين، ومن أهل المعروف والإحسان. اللهم وفّقنا لقضاء حوائج المسلمين، وتفريج كرب المكروبين، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين. اللهم ارزقنا رحمةً بالفقراء والمساكين، والأيتام والأرامل. اللهم حبّبنا إليك، وحبّب خلقك فينا، وحسّن أخلاقنا، وقوّي إيماننا، وأعنّا على العمل الصالح،

ونفْع الناس، وقضاء حوائجهم، وما يقرّبنا إلى حبك، يا رب العالمين. اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين وغزة، اللهم كن لهم ناصراً ومعيناً، ومؤيِّداً وظهيراً. اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، وآمن خائفهم، واشف جريحهم، وارحم شهيدهم. اللهم احفظ الجزائر وسائر بلاد المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم افتح على طلبة البكالوريا فتوح العارفين بحكمتك، وانشر عليهم من خزائن رحمتك، وذَكِّرْهم من العلم ما نسوا، يا فتاح يا عليم، اللهم إنهم توكّلوا عليك، وفوّضوا أمرهم إليك، ولا منجى وملجأ منك إلا إليك، اللهم اجعل ألسنتهم عامرةً بذِكْرك، وقلوبهم بخشيتك، وأسرارهم بطاعتك، إنّك على كلّ شيء قدير، يا ذا الجلال والإكرام، يا قويّ يا كريم، يا أرحم الراحمين، اللهم أخرجهم من ظلمات الوَهْم، وأكرمهم بنور الفهم، وافتح عليهم بمعرفة العلم، وحسِّن أخلاقهم بالحلم، اللهم إنّا نسألك أن ترزقهم علمًا نافعًا، وأن تنفعهم بما علّمتهم، وأن تزيدهم علمًا، وأن تهبهم من لدنك عقلًا منيرًا، وأن تجعل النجاح حليفهم. يا من بيده ملكوت كل شيء. اللهم أدخل الفرح والسرور على الأهل والمحبّين بنجاحهم، بفضلك وكرمك ورحمتك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ